Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بـالقوم ، عبـر ردة الفعل ، إلى الثـورة والانتقام من القتلة . ويـذكر ضـومط ، ههنا ، أنه لو كان أنتوني قد « جاء في كلامه أولاً بما جاء به آخراً ، أو لو كـان عمل في كل خطوة منذ افتتح كلامه على ما يهيـج روح الغضب فعلاً ، لقصَّـر كلامه في الصورتين عن أن يبلغ ما بلغ إليه »[٣٤] . فالقوم في الوضعية الأولى لم يكونوا على استعداد كاف للغضب ؛ وهم في الوضعية الثانية في حالة فتور قوة الغضب وتراجع نشاطها بتوالي عملها منذ البداية .

وتأتي الملاحظة الرابعة لتقود ضومط إلى الاستنتاج بأن ذكر أمر متضاد مع الموضوع الأساسي للمادة سوف يُحَضِّرُ الذهن ، كما النفس ، لاستيعاب أفضل للصورة المرجوة .

هكذا يستخلص ضومط أنه إذا ما راعى الكـاتب هذه القـواعد المتعلقـة بالاقتصاد على انتباه ومتأثرية المتلقي للنتـاج الأدبي ، فإنـه يستطيـع أن يحقق أعلى أنواع البلاغة . وإذا ما وصل الكاتب إلى هذه الدرجة في إنتاجه، فالعمل الأدبي، عند ذاك، كما يرى ضومط، يصبح مشابهـاً للجسم البشري لجهـة ترابط أجزائه واتسـاقها فيمـا بينها . العمـل الأدبي يضحي ، آنئذٍ ، وكمـا يعبر جبـر ضومط ، « وحدة كلية »[٣٥] . والجديـد في هذه الـرؤية للعمـل الأدبي ، عند ضومط ، هو محاولته الواضحة والمباشرة للنظر إلى وحدة العمل الأدبي بتشبيهها بوحدة الجسد البشري التي تضم تناسقاً في التأليف والعمل بين عناصر مختلفة ومتنوعة . والجدير بالذكر أيضاً هو مصطلح « الوحدة الكلية » الذي يـطالع بـه ضومط قارىء ذلك الزمن ، والـذي يبدو جـديداً كـل الجدة على دنيـا التفكير الأدبي العربي في تلك المرحلة من القرن التاسع عشر .

إن هذا المنحى الطريف في الدرس البلاغي والتحليل الأدبي ، يخوضه جبر ضومط في أواخر القرن التاسع عشر ، يثير الاهتمام لما يقدمه من مفـاهيم جـديدة في ذلـك العهد . فـالعملية الأدبيـة هي أولاً ، وقبل كـل شيء ، فعل اتصال . وطبعاً ، كلما كان النتاج الأدبي أكثر وضوحاً ويسراً ، كلما كـان قادراً على التوصيل، وكان أقدر على الارتقـاء في معارج البـلاغة الأدبيـة. إضافـة إلى هذا كله ، فإن المعيار النقدي الذي تطرحه رؤية ضومط للبلاغة يبدو الأقدر ،